ويقولون في اكله: « حبّه وحبّه اكل العنب . تنتين تنتين حشه وادب . تلاته تلاته اكل الدبب »

وينادون على الزبيب: « دربلي يا زبيب . يا موّانه عالزبيب . بلا بزر ياقشلميش(١) »

٢٠ العناب

تزهر شجرتهُ في ايار . ويؤكل اخضر في تموز واحمر في ايلول وهو قليل . تباع اوقيّة الاخضر ٢٠ پاره والبالغ من قرش الى ١٧ . والمناداة عليه: « عنب عنّاب وهديّه للاحباب »

٢١ القَجلَجَق

هو ثمر يشبه البلح وطعمهُ لذّان لا حامض ولا حلو يأكلونهُ بلا سكّر او معقوداً به وينادون عليه: « للمعقود يا قجلجق »

٢٢ الجوز الهندي

ينادون عليه: « يا الله عالهند — يا مال الهند — الهند بلاده — عاود حمل جوز الهند — يا الله عالمكسّر يا جوز الهند — تعرا خذوا من الثلاثين للستين » اعني انّ الجوزة تباع من ٣٠ پارة الى ٦٠ پارة . واوقيّة الجوز الملبس ٦٠ پاره

والجوز الهندي اذا أُفرغ من ثمرهِ يُتخذ لشرب التنبك فمنهُ النارجيلة باسم شجرة النارجيل وهي شجرة الجوز الهندي

معظم الاثمار السابق ذكرها تجني في دمشق الّا الجوز الهندي . وقد يباع غير ذلك في اسواقها ممّا ينمو في بلاد شتى كالبلح والنخل والموز والانكدنيا فنكتفي بما سبق خوفاً من الاطالة المملّة (٢)

صناعة الطوب والقرميد

للدكتور توفيق سالم

يقول المثل الافرنسي: « ما من جديد تحت الشمس » ومن يتكر حقيقة الامثال

---

(١) القشلميش زبيب صغير اشقر لا بزر لهُ يرد من المتارج والبعض يضعونهُ في المطبوخات

(٢) للمستشرق الفنصل الالماني في دمشق الدكتور وتشتين (Dr J. G. Wetzstein) مقالة كلّها فوائد في اسواق دمشق وعاداتها اعلها نشرها في المجلّة الاسيويّة الالمانية Der Markt in Damascus. ZDMG, XI, 475-525

وما تحويه من الحكمة ... لاريب بان الكثيرين من القرّاء سيستغربون استهلال مقالي بمثل هذا الكلام ولكن من يصحبني في بحثي هذا حتى النهاية يتأكد صدق العبارة ويكرّر معي انهُ حقيقةً ما من جديد تحت الشمس

اوقفني اركيٌّ صديق والدي في احدى المجلّات العلميّة على مقالٍ صغير كلّه فائدة فاحببت سرده هنا مفصّلاً نظرًا لعلاقته بشرقنا المحبوب وعظيم اعمال اهله القدماء فهو على ظني لأجدر بالمطالعة من حوادث السياسة العقيمة الفائدة التي تكثر منها جرائدنا العربية . ومداره على صناعة الطوب والقرميد وتاريخ هذا الاكتشاف

تلك القطعة الترابيّة التي اصبحت في ايّامنا هذه تحفظ راس المثري في قصره الفخيم كما تقي الفقير المسكين في كوخه الحقير من حرّ الصيف وقرّ الشتاء . تلك القطعة المختلفة الحجم واللون باختلاف البلد وتربته والتي كثر انتشار نوع منها في لبناننا خصوصاً حتى في اعلى جباله فزادت دوره جمالاً وأضافت على رونق طبيعته وبديع مناظره ثوبًا جديدًا هي اقدم مما نظنُّهُ اذ يرجع اختراعها لابناء الشرق . هي الحاجة ام الصنعة التي اولدت هذه الحجارة الاصطناعيّة منذ نحو ٦٠٠٠ سنة وقد تأكّدت حقيقة الامر مؤخّرًا البعثة الامريكية من الآثار والكتابات القديمة التي وجدوها في خربة مدينة يسميا القديمة من بلاد ما بين النهرين وكلها تدلّ على ان الكلدانيين اول من استعمل الخزف (الفخار) لبناء دورهم بشكل يختلف طبعاً عن الشكل المعروف اليوم وكان ذلك قبل المسيح بالوف من السنين . ولا غرو فانَّ مدير البعثة المذكورة يقول انهُ لا يُستغرب ان تكون وُلدت صناعة الطوب في تلك السهول الواسعة التي تمتدّ ما بين دجلة والفرات حيث لا صخر يوجد وما للحجارة من أثر . وقد حققت قولهُ كثرة الآثار الموجودة . اما القرميد فكان اذ ذاك بيضي الشكل اوّلاً ميبساً بحرارة الشمس ثم اصبح بعد مدات مربعاً كما يستعملهُ اليوم عرب البادية واهل البلاد الشرقية كالنبك والبقاع وحماة الخ ... ولم يكن يُستعمل لبناء الأكواخ فقط بل كانت تُبنى به القصور والمعاهد الدينية ولذلك قلتُ انَّهُ ما من جديد تحت الشمس حتى ولا الطوب ايضاً انما الجديد هو الشكل والهيئة واللون . اما « المارکة » فاسمها فقط جديد وصانع القرميد والطوب الحديث يتقلّد بدون ان يشعر ما قد سبق وعمله سلفهُ الكلداني منذ ستّة الاف سنة . وقد عرفت البعثة نفسها ان المارکة الاولى التي استعملها الكلدان لم تكن سوى اثر الاصبع الأبهام

لكنهم اخذوا مع انتشار استعمال الطوب ينوّعونها ويكيّفونها حتى اصبحت كعلامة مميّزة لكلّ سلالة ملكت. وبكرور السنين اختلف شكل الطوبة ايضاً مع اختلاف طبقات الشعب لان الملوك وعظماء البلاد اختصّوا نفوسهم بشكل واستعمل الشعب شكلاً آخر. فالماركة وجد منها غير الاولى التي ذكرناها بهيئة خط بسيط وهذه مع تلك هي اقدم ما تحقّقتهُ البعثة ثم مع تغيير الهيئة المالكة تغيّرت العلامة فمنهم من أضاف الى الخطّ البسيط خطًّا وخطّين عاموديين ثم افقيين ثم خطوطاً مورّبة الخ

وفي سنة ٣٨٠٠ ق.م. امتلك الساميون بابل فاصطنع ملكهم سرجون طوباً خصوصياً لبناء قصرهِ وامر بطبع اسمه والقابهِ الملوكانيّة عليها كعلامة مميّزة وهكذا صنع من بعدهِ خلفهُ الى ان تبوّاه العرش الملك العظيم نبوكدنصر الشهير فأنقص حجم الطوب وختمهُ باسمهِ واتّخذهُ لبناء قصرهُ الفخيم وهياكل بابل العظيمة

ولم تقف الهندسة القديمة عند هذا الحدّ بل كان الإتقان يزداد مع السنين حتى انهُ في سنة ٢٨٠٠ ق.م. اخذ البابليون يصطنعون قرميداً خصوصياً لبناء اعمدة الهياكل وزخرفة جدران القصور وعمل النوع المعروف اليوم بالكورنيش. اما الجصّين والطين فكانا مجهولين وبقي الطوب يبنى بدون مادّة غريبة حتى ار بعين جيلاً ق.م. حيث ابتُدئ باستعمال نوع من الزفت كانوا يلتقطونهُ من جوار نهر الفرات ولم يعرف الكلس الّا بعد مئات من السنين على ايّام الملك نابوبولاصار او قبلهُ بقليل

هذا ملخّص ما قرأتهُ في المجلّة الانكليزيّة عن بعض اعمال اهل الشرق ومنهُ يتّضح ان صنع الطوب (او القرميد الذي ليس هو الّا زيادة تفنّن) هو صناعة شرقيّة وطنيّة. ويستدلّ لنا من هذا الاكتشاف وسواه انهُ يمكننا بالاجتهاد والدرس ان نجاري اهل الغرب بكافّة اعمالهم

هذه صناعة من منة يمكنها ان تشغل الألوف من العملة وتدرّ المال الكثير على الاغنياء لو أتقن العمل واستوفيت الشروط المطلوبة من هؤلاء ومن الحكومة. فيُفرض على هذه زيادة الرسم الجمركي على ما يرد الينا من البضاعة الاجنبيّة من صنف القرميد والطوب وتسهيل العمل على مباشريهِ وتنشيطهم بالمساعدة المقتضية. امّا العملة فيترتّب عليهم اتقان صنعهم بعد درسهِ اصولياً والثبات على العمل